

النهاية في غريب الأثر

{ سبح } ... قد تكرر في الحديث ذكرُ [التسبيح] على اختلافِ تصرُّف اللّفظة .
وأصلُ التَّسْبِيحِ : التَّنْزِيهِ والتَّقْدِيسُ والتَّبْرِئَةُ مِنَ الذَّنْبِ قَائِمًا ثُمَّ اسْتِعْمَلُ فِي
مَوَاضِعَ تَقَرُّبٍ مِنْهُ اتِّسَاعًا . يُقَالُ سَبَّحْتَهُ أَسْبَحَهُ تَسْبِيحًا وَسُبِّحَانَا فَمَعْنَى سُبِّحَانَ
اللَّهِ : تَنَزَّيْهِ اللَّهِ وَهُوَ نَصَبٌ عَلَى الْمَصْدَرِ بِفِعْلِ مُضْمَرٍ كَأَنَّهُ قَالَ : أُبَرِّئُ اللَّهَ
مِنَ السُّؤْءِ بِرَأْيِهِ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ : التَّسَرُّعُ إِلَيْهِ وَالخِفَّةُ فِي طَاعَتِهِ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ
: السُّرْعَةُ إِلَى هَذِهِ اللَّفْظَةِ . وَقَدْ يُطْلَقُ التَّسْبِيحُ عَلَى غَيْرِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الذِّكْرِ
مَجَازًا كَالْتَّحْمِيدِ وَالتَّمَجِيدِ وَغَيْرِهِمَا . وَقَدْ يُطْلَقُ عَلَى صَلَاةِ التَّطَوُّعِ وَالنَّافِلَةِ .
وَيُقَالُ أَيْضًا لِلذِّكْرِ وَلِصَلَاةِ النَّافِلَةِ : سُبْحَةٌ . يُقَالُ : قَضَيْتُ سُبْحَتِي .
وَالسُّبْحَةُ مِنَ التَّسْبِيحِ كَالسُّخْرَةِ مِنَ التَّسْخِيرِ . وَإِنَّمَا خُصَّتِ النَّافِلَةُ بِالسُّبْحَةِ
وَإِنْ شَارَكَتَهَا الْفَرِيضَةُ فِي مَعْنَى التَّسْبِيحِ لِأَنَّ التَّسْبِيحَاتِ فِي الْفَرَائِضِ نَوَافِلٌ فَقِيلَ
لِصَلَاةِ النَّافِلَةِ سُبْحَةٌ لِأَنَّهَا نَافِلَةٌ كَالتَّسْبِيحَاتِ وَالْأَذْكَارِ فِي أَنَّهَا غَيْرُ وَاجِبَةٍ .
وقد تكرر ذكر السبحة في الحديث كثيرا .

(ه) فمنها الحديث [اجْعَلُوا صَلَاتَكُمْ مَعَهُمْ سُبْحَةً] أي نافلة .
- ومنها الحديث [كنا إذا نزلنا من نزل لا نُسَبِّحُ حتى نُحَلَّ الرِّحَالُ] أراد صلاةَ
الضُّحَى يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا مَعَ اهْتِمَامِهِمْ بِالصَّلَاةِ لَا يُبَاشِرُونَهَا حَتَّى يَحْطُتُوا
الرِّحَالُ وَيُرِيحُوا الْجِمَالَ رَفَقًا بِهَا وَإِحْسَانًا .
(س) وفي حديث الدعاء [سُبْحٌ وَجْهُ قُدُّوسٌ] يُرْوَى بِأَنَّ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ وَالْفَتْحِ أَقْبَسُ
وَالضَّمُّ أَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا وَهُوَ مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ . وَالْمُرَادُ بِهِمَا التَّنْزِيهِ .
- وفي حديث الوضوء [فَأَدْخَلَ أَصْبُعَيْهِ السَّبْيَةَ حَاتَيْنِ فِي أُذُنِهِ] السَّبْيَةُ
وَالْمُسَبِّيحَةُ : الإصْبَعُ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا يُشَارُ بِهَا عِنْدَ التَّسْبِيحِ .

(ه) وفيه [أن جبريلَ عليه السلام قال : لله دُونَ الْعَرْشِ سَبْعُونَ حِجَابًا لَوْ
دَنَوْنَا مِنْ أَحَدِهَا لَأَدْرَقَتْنَا سُبْحَاتُ وَجْهِ رَبِّنَا] .
(س) وفي حديث آخر [حجابُ النورِ أو النارِ لو كَشَفَهُ لَأَدْرَقَتِ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ
كُلَّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ] سُبْحَاتُ الْوَجْهِ : مَحَاسِنُهُ لِأَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ الْحَسَنَ الْوَجْهَ .
قِيلَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ . وَقِيلَ مَعْنَاهُ تَنْزِيهِ لَهُ : أَي سُبْحَانَ وَجْهِهِ . وَقِيلَ : إِنْ
سُبْحَاتُ وَجْهِهِ كَلَامٌ مَعْتَرِضٌ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْمَفْعُولِ : أَي لَوْ كَشَفَهَا لَأَدْرَقَتِ كُلَّ شَيْءٍ

أدرّكه بَصَره فكأنه قال : لأدْرِقت سُبُحات اللّٰه كل شيء أبصره كما تقول : لو دَخَلَ
المَلِكُ البلدَ لقتل والعياذُ باللّٰه كُـلُّـ من فيه . وأقربُ من هذا كُـلُّـه أن المعنَى :
لو انكَشَف من أنوار اللّٰه التي تَحْجِب العِيادَ عنه شيءٌ لأهْلِكَ كُـلُّـ من وقَعَ عليه
ذلك النُّور كما خَرَّـ موسى عليه السلام صَعِيقاً وتقطَّع الجبلُ دُكاً لمّا تَجَلَّـى
اللّٰهُ سُـبُحانه وتعالى .

(س) وفي حديث المقداد [أنه كان يوم بَدْرٍ على فَرَسٍ يقال له سَبِيحَة] هو من
قَوْلهم فَرَسٌ سَابِحٌ إذا كان حَسَنَ مَدِّـ اليَدَيْنِ في الجَرِيِّ